

بسم الله الرحمن الرحيم
إنجازات المرأة عبر التاريخ

الاثنين ٨/١١/٢٠١٠

د. ليلي توفيق العمري

الجامعة الهاشمية/ الزرقاء

والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أما بعد، فقد كنتُ عقدتُ منذ سنوات ندوة عن مرحلة الإيلاس عند المرأة، واقتصر حضور الندوة يومئذٍ على النساء، ومنذ ذلك الوقت حُمِلَ عليّ من الطرف الآخر أنني نصيرة المرأة. واليوم أدعى لإدارة المائدة المستدير عن "إنجازات المرأة الأردنية في العقد الأخير"، التي تقيمها مديرية ثقافة الزرقاء بمناسبة الاحتفال بيوم المرأة العالمي؛ بمشاركة سيدتين فاضلتين كريمتين: المحامية فاطمة فُصاد والسيدة كوثر الخلفات في هذا المركز الذي حمل اسم سيد البلاد: مركز الملك عبد الله الثاني الثقافي، حفظه الله ورعاه، وأطال في عمره، وجعل على طريق الخير خطاه.

والشكر الموصول لوزارة الثقافة ولمديرية ثقافة الزرقاء اللذين شرفاني إدارة هذه الندوة، والشكر كله للحضور الكريم الذي أعطى انطباعاً حسناً على اهتمامه بموضوع هذه الندوة. والشكر للزميلتين اللتين كانتا لي شرف التقائهما والتعرف إليهما عن طريق هذه الندوة التي أحدثت تواصلاً بيننا.

كنت أتمنى أن يكون موضوع الندوة عن: إنجازات المرأة العربية عبر التاريخ إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه في العقد الأخير، لأن إنجازاتها في العصر الحاضر لم تأت من فراغ، فمنذ أن وُجِدَتْ المرأة وهي تكافح وتعمل لتثبت لها مكانة في المجتمعات منذ القديم، فقد أثبتت دورها في الأسرة؛ فكان لها رأي يُؤخذ به، فقد أخذ عامر بن الظرب العَدَواني بميراث خُنْثَى، وكانت ابنته - وكانت من حكيماات العرب - تفرع له العصا لما أسنّ واعتراه النسيان؛ وفيه قال المتلمّس الضبّعي:

لِذِي الْجِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُفْرَعُ الْعَصَا وَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْلَمَا

وكانت تختار زوجها بنفسها، وتزوِّج نفسها من بعض الرجال أحياناً، فقد عرضت السيدة خديجة على الرسول صلى الله عليه وسلم رغبتها في الزواج منه لما رأت من أمانته وصدقه حين كان يتجر لها، وكانت المرأة تختبر خاطبيها وتوازن بينهم، وكانت تستشار في زواجها فلا يغلبها وليها على أمرها، كما كانت تبدي رأيها في الزوج المناسب لها، وكانت ترفض أن يجمع معها امرأة أخرى أحياناً ...

وشاركتُ المرأة في الحياة العامة للمجتمع الجاهلي، فكانت تمارس من الأعمال والصناعات ما تستدعيه البيئة من حولها وما تحتاج إليه الأسرة والمجتمع الجاهلي؛ فكن ممرضات، وكن ماشطات، وكن كاهنات، وكن يَرْقِيْنَ، وكن ممرضات، وكن يقوِّمن الرماح، وكن حاضنات وقابلات ... وكن يَنْسِجْنَ الحصر واستمر عملها هذا في الإسلام، وكن يَحْكُنَ الثياب وَيَعْزِلْنَ الصوف وَيُنْظِمْنَ العقود وَيُرْصَعْنَ حمائل السيوف ويحتظبن ...

وعلى المستوى الاقتصادي كانت المرأة تملك المال وتملك حق التصرف فيه، فكانت تجود به مثل أم حاتم الطائي وابنته سقانة. وكانت تتاجر به فقد كانت السيدة خديجة امرأة تاجرة ذات شرف ومال كثير، وكانت تستأجر الرجال وتدفع المال مضاربة*، وقد تاجر لها النبي صلى الله عليه وسلم في الشام واليمن قبل مبعثه، وتقاضى أجره منها أربع بكرات أو قلوصين، ولا تمثل السيدة خديجة حالة فردة وإنما ظاهرة عامة.

أما عن دور المرأة في الحياة الأدبية والفنية، فقد كن شاعرات مثل الخنساء والخزنيق. وكن روايات للشعر مثل الفارعة أخت أمية بن أبي الصلت، وكانت قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح الطائف وأنشدته ما تحفظ من شعر أخيها، وكانت السيدة عائشة تحفظ الشعر وتنشده للرسول صلى الله عليه وسلم. وكن ناقدات مثل أم جندب وقد احتكم إليها امرؤ القيس وعلقمة الفحل في وصف فرس، فحكمت لعلقمة على امرئ القيس بأنه أشعر منه في صفة فرسه. وكان الأعشى يعرض قصائده على ابنته وكان قد ثقّفها وعلمها ما بلغت به استحقاق التحكيم والاختيار لجيد الكلام. وكانت تجيز الشعر على البديهة كابنة حسان بن ثابت حين صعب القول عليه ذات ليلة فأجازت ابنته عنه. وكن يحترفن الغناء وهن القيان، وكن يرافقن الجيش لتحريض المقاتلين وإثارة حماسهم. وكانت المرأة خطيبة كأسماء بنت يزيد بنت السكّن، وكان يقال لها خطيبة النساء، وكن راويات للحديث كالسيدة عائشة.

وعلى المستوى السياسي، فقد وصلت المرأة إلى أعلى المراتب من ذلك بلقيس ملكة سبأ، كانت امرأة حكيمة ومن أعقل النساء وكانت تقود الجيوش وتشاور قومها. وكانت الزّباء ملكة على الشام والجزيرة، وكانت ذات عقل ورأي ودهاء، وكانت تغزو بجيوشها وجنودها وأخذت في الحيلة على جديمة الأبرش حتى استقدمته إليها ثم قتلته تاراً لأبيها.

واستمر دور المرأة في صدر الإسلام، وكان لها مشاركات كثيرة على مختلف الصعد ... حسب ظروف المجتمع والبيئة من حولها ومستجدات العصر ...

وفي كل عصر تنتقل المرأة من طور إلى آخر ومن مستوى إلى آخر حتى اشتهرت بمعارف شتى وسامت الرجال أحياناً، وظهرت على التاريخ وهي تسهم في المعرفة وتسير كالرجال بخطا نحو الكمال، وكان الإسلام مشجعاً على حث الخطأ، وكان نوراً إلى الهدف الذي يأتّمه النساء والرجال جميعاً. كان ما مرّ حديثاً عن دور المرأة في العصور القديمة أما دورها في العصر الحاضر فتحدثنا عنه السيدة فاطمة قصاد والسيدة كوثر الخلفات.

* المضاربة هي: أن تعطي إنساناً من مالك ما يتجرّ فيه على أن يكون الربح بينكما، أو يكون له سهم معلوم من الربح.